

الارهاب وحقوق الانسان متلازمة العنف والاستبعاد

Terrorism and Human Rights Syndrome of Violence and Exclusion

أ.م.د. ذكرى جميل محمد حسين¹

الجامعة المستنصرية - كلية الآداب

قسم الانثروبولوجيا والاجتماع

drthikraalbanaa@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/10/11 تاريخ القبول: 2021/04/22 تاريخ النشر: 2021/07/01

ملخص:

تظهر صور تعامل داعش مع الضحايا الذين يقعون في قبضته نوعاً متطرفاً من الكراهية ضد الآخر بحيث يعاملونه ك (شيء) قابل للحرق او للبيع او الاستبعاد او الدفن حيا. هذا المستوى من الكراهية لا يميز بين كبير وصغير او بين رجل او امرأة او بين شاب وشيخ فالجميع طبقاً للإرهاب التكفيري يستحق هذه المعاملة لأنه ببساطة (كافر) ينبغي استتصاه.

ان داعش يرتكب جرائم كبرى وينتهك حقوق الانسان على نحو خطير يتجاوز كل مبادئ واعراف القانون الدولي الانساني وعهوده واعلاناته واتفاقياته. داعش جماعة اجرامية لا تعترف بحقوق الانسان. بل ترى فيه مجرد (شيء) قابل للقتل والحرق والبيع والسبي والاهانة وقد ازدحمت تقارير الامم المتحدة وهيئات حقوق الانسان بالجرائم التي ارتكبتها داعش وانشئت مراكز بحوث وصدرت عن مجلس الامن قرارات لتجفيف منابع التمويل وتجريم الممولين واعتبار جرائم داعش جرائم ضد الانسانية. غير ان الوجه الاخر للعملة يبدو في قضية المجندين الاوربيين او الغربيين الذين يلتحقون بعصابات داعش ويدخلون الى سوريا من البوابة التركية. ان هؤلاء هم ايضا دليل فشل اوربا في محاولتها ادماجهم في النسيج الاجتماعي لسكانها ومعاملتهم بوصفهم مواطنين كاملين الاهلية. فهؤلاء، رغم ان بعضهم من الجيلين الثاني والثالث يفترقون الى كثير من الحقوق فهم مهمشون ويعانون من مشكلات البطالة والاهمال والنظرة الدونية التي تشعرهم بالعزلة والاعترا ب مقابل اغراءات مواقع التواصل الاجتماعي لهم ب(حياة بسيطة وجهاد يؤدي الى الجنة) فضلاً عن كونهم سوف ينفسون عن حقدهم وغضبهم تجاه انظمة يشعرون انها ظلمتهم.

تتناول هذه الدراسة

- جرائم داعش وانتهاكاتها لحقوق الانسان في المناطق التي احتلتها خصوصا اذ ان هذه الجرائم هي حرب غير مقدسة ضد الانسان
- المجندون الذين وجدوا في الالتحاق بداعش فرصة للخلاص من حالة الاستبعاد لكنهم وقعوا فيما هو اخطر منه.

¹ أ.م.د. ذكرى جميل محمد حسين: drthikraalbanaa@gmail.com

كلمات مفتاحية: الإرهاب - حقوق الانسان - العنف - الاستبعاد - داعش.

Abstract: Daesh reflected various images of extreme hatred in dealing with those who are captured by its fighters. These images take the forms of burning people alive, selling them, burying them alive and taking them as slaves. This level of hatred does not distinguish between old-aged men, women, youths and children. According to Takafiri terrorism, all deserve this treatment and they should be uprooted because they are disbelievers.

Daesh is a criminal group which does not recognize human rights, rather it looks at humans as something saleable, burnable and subject to killing, captivity and insult. In this regard, UN and human rights commissions reports were crowded with the crimes committed by Daesh fighters. Research centers were founded and security council resolutions were issued to stop sponsoring this criminal group and to consider those sponsors as criminal and Daesh acts as crimes against humanity.

The other side of the coin is the case of European and Western militants who join Daesh gangs and enter to Syria via Turkish gate. This has proved Europe's failure in its attempts to merge those terrorists in the social texture of the European society. Moreover, this failure is realized in the inability to treat those militants as normal citizens of full aptitude. They suffer from marginalization, unemployment and inferiority. Accordingly, they feel of being isolated and foreign as they are tempted by social media "of simple life and Jihad leading to paradise". As such, those fighters will release their abhorrence and anger against regimes they feel of their injustice.

The present study is concerned with:

1. Daesh's crimes and violations of human rights in the territories Daesh occupied. It is a non-sacred war against Man.
2. Militants who found in the recruitment to Daesh as a means of salvation from exclusion, but they fall in a more dangerous manner.

Key words: Terrorism - Human Rights - Violence - Exclusion - Daesh

١. المقدمة

تظهر صور تعامل داعش مع الضحايا الذين يقعون في قبضته نوعاً متطرفاً من الكراهية ضد الآخر بحيث يعاملونه ك (شيء) قابل للحرق او للبيع او الاستبعاد او الدفن حيا. هذا المستوى من الكراهية لا يميز بين كبير وصغير او بين رجل او امرأة او بين شاب وشيخ فالجميع طبقاً للإرهاب التكفيري يستحق هذه المعاملة لأنه ببساطة (كافر) ينبغي استئصاله.

عالم اليوم مع كل تناقضاته، عمل جاهداً على مأسسة حقوق الانسان حتى من قبل ان يصدر الاعلان العالمي لحقوق الانسان عن الامم المتحدة عام 1948. وبموجب تلك المأسسة وخصوصاً بعد صدور العهدين الدوليين (العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية عام 1976) و(العهد الدولي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية عام 1976) الى جانب اتفاقيات مهمة مثل (سيداو) واعلان مناهضة العنف ضد المرأة واتفاقية حقوق الطفل والبروتوكولان الاختياران الملحقان بها وغير ذلك مما صار يشكل القانون الدولي الانساني الذي يمثل اجماعاً دولياً على ان هذه الحقوق الإنسانية ملزمة للحكومات وانها غير قابلة للتجزئة.

ان جوهر حقوق الانسان يتلخص في: المساواة أي ان البشر لا تميز بينهم اية صفة اثنية او دينية او طائفية او جنسية او مناطقية. وهذه المساواة هي قاعدة الديمقراطية ومنطلق مبدأ المواطنة. بالمقابل يقدم داعش فكراً يستند الى مبدأ التمييز الذي يرى في كل القوانين والمؤسسات السياسية والاجتماعية والثقافية التي تدعو الى المساواة فكراً ينبغي محاربته وتدمير من يؤمن به او ينتمي اليه. غير ان شرعة حقوق الانسان لم تكن يوماً نموذجية او مكتملة حين يتعلق الامر بالتطبيق. فأوروبا مثلاً لم تستطع ان تتحرر من مركزيتها الاثنية -الثقافية ولم تنجح في دمج المهاجرين اليها بحيث تصبح علاقاتهم مع مواطنيهم من الاوروبيين جزءاً لا يتجزأ من نسيج المجتمع ولعل هذا يفسر العدد الكبير من مجندي الدول الاوربية الذين يلتحقون بداعش.

تتناول هذه الدراسة

- جرائم داعش وانتهاكاتها لحقوق الانسان في المناطق التي احتلتها خصوصاً اذ ان هذه الجرائم هي حرب غير مقدسة ضد الانسان
- المجندون الذين وجدوا في الالتحاق بداعش فرصة للخلاص من حالة الاستبعاد لكنهم وقعوا فيما هو اخطر منه.

٢. الاطار المفاهيمي

٢٠١ حقوق الانسان:

هي جوهر فلسفة الحدائة. بل هي اسمى قيمها. يقول عالم الاجتماع الآن تورين أن وجود الحدائة رهن بوجود شرطين أو مبدأين اولهما: الاعتقاد بالعقل والنشاط العقلي. فالعلم والتكنولوجيا والحساب والدقة وتطبيق نتائج العلم على ميادين يكثر تنوعها في حياتنا وحياة المجتمع. أما المبدأ الثاني المؤسس للحدائة فهو الاعتراف بحقوق الفرد أي اثبات شمولية تعطي جميع الافراد الحقوق نفسها ايا كانت اوصافهم الاقتصادية والاجتماعية او السياسية. ان حقوق الانسان مبدأ يتخطى كل الطوائف وكل المبادئ التنظيمية. ان الحدائة المكتملة لا يمكنها ان تكون الا نقيضا للنموذج الطائفي (تورين، 2011 ، صفحة 134)

ان مبدأ حقوق الانسان هو التعبير المحكم في الاخلاقيات العامة للسياسة العالمية عن الفكرة القائلة ان كل شخص هو موضوع اهتمام عالمي وليس مهما الموقع الجغرافي للشخص او الفصيل السياسي او الفريق الاجتماعي الذي ينتمي اليه إذ كل امرئ له حقوق انسانية وعليه مسؤوليات حماية واحترام هذه الحقوق التي اصبحت واقعاً عالميا وممارسة دولية شاملة على جبهات عديدة واصبحت اكثر وضوحاً سياسياً منذ نهاية الحرب الباردة (بيتر، 2015 ، الصفحات 13-14)

لقد كان للثورة الفرنسية اهميتها في اطلاق مبدأ المساواة الذي تبلور في اعلان حقوق الانسان 1948. ومن الملاحظات ذات الصلة بهذه الدراسة ان مصطلح حقوق الانسان كان يعني شيئاً ذا طابع اكثر سلبية وادنى من الناحية السياسية من الحقوق الطبيعية للفرد ففي عام 1806-على سبيل المثال- استخدم المصطلح للإشارة الى شرور تجارة الرقيق. ويلاحظ ايضا ان الرئيس الامريكى جيفرسون أكد على ان الافارقة يتمتعون بحقوق الانسان دون ان يلح الى العبيد الامريكيين ذوي الاصول الافريقية (هانت، 2013، صفحة 22) هذه المفارقة ما زالت قائمة الى حد كبير فالعقل الاوربي مازال يقلل من قيمة الانثيات الاوربية.

ان حقوق الانسان في تعددها وتنوع مضامينها تعطي معظم إن لم نقل كل اوجه الحياة الانسانية. فهي تتنوع ما بين السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي والجنسي والعائدي وهي جميعها شرعة اممية عابرة للدول القطرية.

٢٠٢ الإرهاب:

هو العنف المخطط مسبقاً لتحقيق اهداف سياسية ولقتل الابرياء والمدنيين. او هو كما عرفه الجيش الامريكي:

الاستخدام المحسوب للعنف او التهديد بالعنف بغية تحقيق اهداف سياسية، دينية، ايدولوجية من حيث الجوهر وذلك من خلال التهويل والاكراه او بث الخوف. وجوهر التعريفين المشار اليهما يستند على عنصر واحد هو استخدام القوة والعنف لتحقيق الاهداف المختلفة. الا ان قتل الناس وابدانهم او اجبارهم على قبول ما يريدون تحقيقه هو الذي يعطي لفكر الارهاب جوهره (الزيادي، 2013، صفحة 10).

ان معظم تعريفات الارهاب ركزت على كونه استخداماً للقوة العنيفة ضد المدنيين خصوصاً ولذلك فان معظم اجراءات ما يسمى بالحرب على الارهاب هي اجراءات ذات طابع عسكري مادي اما الجانب الفكري في الرد على الارهاب فما زال دون المستوى المطلوب. الارهاب الذي نتناوله في هذه الدراسة هو منظومة فكرية او معرفية تقوم على التمييز والتبرير، على نحو يعبر عن نوع من الكبرياء المرضية المتطرفة في تمجيد الذات مقابل الاقلال من قيمة الاخر. ولعل اهم ما تتميز به هذه المنظومة الفكرية هي انها تبني رؤيتها للحاضر وللمستقبل على اساس انهما يكتسبان قيمة مطلقة وقداصة تامة من خلال الماضي وحده. فهي منظومة متحجرة زمنيًا، ومن ثم فهي ضد الحداثة بالضرورة. ان هذه المنظومة اذ تقوم على مبدأ التمييز ضد الاخر فانها لا تجده (انسانا) بل تراه (شيئًا) قابلاً للتداول او للتملك او للأذلال او للابادة. انها باختصار ضد كل مبادئ حقوق الانسان الي تدعو اليها الحداثة.

٣. الارهاب: الحرب غير المقدسة ضد الانسان

يمثل داعش خلاصة الفكر السلفي الجهادي، بل ويتجاوزه في مدى التطرف الدموي والاستهانة بالبشر وتتعاضم خطورته مع تمدده السرطاني في سوريا ولبنان والمغرب العربي وفي اجزاء من افريقيا وصولاً الى علميات (الذئاب المنفردة) في اوربا. يقوم موقف الفكر التكفيرى على قاعدة تمييزية مفادها ان (الأخر) لا يستحق ان يتمتع بأي نوع من الحقوق، بل هو مشروع للحرق او القتل او التهجير او الاستبعاد او المتاجرة. انه (شيئ) يمكن تدميره. وبالمقابل هناك تركز مرضي حول الذات. فمنذ عقود من الزمن كتب سيد قطب داعياً الى (الثورة الشاملة على حاكمة البشر في كل صورها او اشكالها وانظمتها واطواعها) (قطب، 1956، صفحة 81) وقبل ذلك كتب حسن البنا في مجلة النذير عام 1938 (نحن في حرب على كل زعيم او رئيس حزب او هيئة لا تعمل على نصرة الاسلام.. سنعلنها خصومة لا سلم فيها ولا هوادة حتى يفتح الله بيننا وبين قومنا بالحق وهو خير الفاتحين. ولقد تفاقم هذا الشعور بالتفرد والعظمة

لدى قادة الحركات الجهادية المصرية مثل: جماعة الفنية العسكرية وجماعة التحرير الاسلامي والهجرة والتكفير وغيرها. ومن المعلوم ان الاخوان المسلمين في مصر هم (الجماعة الام) التي نمت في اطارها كل الحركات السلفية في البلدان العربية. يقول صالح سريه زعيم التحرير الاسلامي ان الحكم القائم اليوم في جميع بلاد الاسلام هو حكم كافر فلا شك في ذلك والمجتمعات في هذه البلاد كلها مجتمعات جاهلية اما الحكم فأدلتنا على كفرة لاحصر لها في الكتاب والسنة.. انه كل من اشترك في حزب عقائدي فهو كافر لاشك في كفرة ذلك ان هذه الاحزاب لها عقائد ومناهج مخالفة لعقائد ومناهج الاسلام (عامود، جماعات الاسلام السياسي، 1992، صفحة 35). ومن المعلوم ان المساهمة السياسة للفرد في حياة مجتمعه هو حق من حقوقه سواء اكان ذلك عن طريق الاحزاب او الانتخابات.

يمثل داعش نموذجاً متطرفاً لانتهاك حقوق البشر بوصفهم متساوين. وكلمة (بشر) لا يجب ان تنصرف الى فئات ومكونات مثل المسيحيين والايديين والشبك والكاكائيين الذين يضمني عليهم داعش صفة الكفر بل ان الوصف يتسع ليشمل المسلمين ايضاً ومنهم من يسميهم داعش (الروافض) أي الشيعة* (الهرماسي، 2010، صفحة 52). وانطلاقاً من موقف انتهاك حقوق البشر فان داعش يرفض ويكفر كل المؤسسات التي تستهدف توفير بيئة يمارس فيها الناس حقوقهم ولعل في المقدمة منها المؤسسات الديمقراطية اذ يعتقد التكفيريون عموماً ان النظام الديمقراطي هو نظام كفري عالمي وهو تشريع بشري شركي وان رائدة هذا النظام الكفري هي امريكا. ويرى احد مفكري السلفية الجهادية ان الديمقراطية (ديناً قائماً بذاته من اعتنقها وقع في الشرك الاكبر وهو موقف يتسع الى حد تكفير المسلمين الذين يشاركون او يطمحون للمشاركة في العملية الديمقراطية. التشريع الديمقراطي كفري والانتخابات شركية وكل نواب البرلمانات ومن ينتخبونهم من الشعب واقع في الكفر (الهرماسي، 2010، صفحة 53)

وكان سيد قطب قد كتب: ان العالم الغربي لم يعد لديه ما يعطيه للبشرية من (القيم) بعدما انتهت الديمقراطية الى ما يشبه الافلاس.. ان قيادة الرجل الغربي للبشرية قد اوشكت على الزوال. ان العالم كله يعيش اليوم في (جاهلية) (قطب، 1956، الصفحات 3-9) بمعنى ان كل مبادئ حقوق الانسان هي نتاج الثقافة الغربية التحديثية التي بدأت بالتنوير انطلاقاً من ادبيات شهيرة مثل تلك التي ارتبطت باسم

* في نص ينسب الى أبو حمزة البغدادي وهو احد اقطاب السلفية الجهادية يشير الى تكالب الرفض المرئدين على اسقاط الخلافة العباسية.

جون لوك الذي دعا الى التسامح وشكل بذلك منطلقاً لاولى تيارات الحداثة التي اسقطت هيمنة الكنيسة وديكتاتورية الحاكم.

الديمقراطية ترفض فكرة القائد الاوحد الذي ينبغي الخضوع له دون نقاش. غير ان الفكر السلفي أسس لديكتاتورية دينية او اضفى عليها صفة الدين ففي المؤتمر العام الثالث للاخوان عام 1935 أكد المؤتمر على ان من شروط العضوية هو الاستعداد للطاعة التامة وتنفيذ ما يلقي عليه من اوامر كما ان احد العوامل المهمة لتصعيد مرتبة العضو هو التزامه التام بالاوامر والواجبات التي تحددها له الجماعة وفي ادبيات الاخوان العديد من الراء حول الاسس الفقهية لهذا الوضع (عامود، جماعات الاسلام السياسي، 1992، صفحة 69) ان احد مبررات العداء للديمقراطية هو ان الفكر الارهابي يقوم اساساً على مبدأ التمييز بين البشر.

ان رفض الديمقراطية وما يعبر عنها ويتصل بها من مؤسسات يوفر للشباب المحبط مبرر التفكير بهذا النظام على انه غير منصف ولا يلبي احتياجاتهم ولا ينسجم مع طموحاتهم. بل هو نظام يزيد من حرمان الفقير كما يزيد في الوقت ذاته من امتيازات الغني. يقول الهرماسي ان العنف هو نتاج المجتمع الذي نعيش فيه ويرجع الى اليأس والخوف من المستقبل نتيجة الاحساس باحباط الطموحات وهو ايضا نتيجة لعجز الدولة القطرية عن التقدم وتعثر محاولات التنمية وتخلصها من التزاماتها تجاه القوى الاجتماعية المنتجة وخاصة في مجال العدالة التوزيعية. وان الاحباط يؤدي الى زيادة الشحنات العدوانية لدى الافراد خاصة حين ترجع الفجوة بين الامل والطموح الى النظام الاقتصادي والاجتماعي القائم فيصبحون بالتالي مهئين للبحث عن بديل (عامود، جماعات الاسلام السياسي، 1992، صفحة 14) ويبدو ان الولايات المتحدة الامريكية تدرك ان الالتزام الامريكي بنشر الديمقراطية كان له اثره في صعود الحركات الاسلامية واستفادة هذه سياسياً من التحولات الديمقراطية التي جرت في بعض الدول العربية. ان الاحزاب القومية واليسارية لم تعد تلعب دوراً محورياً على المستوى الجماهيري والسياسي في حين ان الحركات الاسلامية اظهرت نفوذها في البناء الاجتماعي وقدرتها على التمدد في بنية المجتمع ومفاصله (فرج، 2010، صفحة 228، 230)

يقدم الارهاب اليوم ادلة صارخة على ان منظومته الفكرية لا ترى الحاضر والمستقبل الا من خلال الماضي. ان التماهي مع احداث وشخص الماضي ينطوي على انفصال عن الحاضر أي ان هذه المنظومة تظهر نوعاً من الانقلاب الزمني للعقل على الحاضر بكل خصوصياته وتعكس الحد الذي لا يمكن تجاوزه بين الجماعة التي تستمد هويتها من النسق المعرفي الذي تدعي انه لا يتغير وبين الاخر

الذي تدعي انه تغير على نحو جعله (كافراً) وهكذا يصبح التاريخ خبرة غير قابلة للتغيير (بلقزير، 2008، صفحة 142) ان انتهاك السلفية الجهادية لحقوق الانسان ياخذ اشكالا متعددة تتسم بمبالغة شديدة من حيث القسوة والبشاعة ويظهر استقراءً سريعاً لصور الدواعش على مواقع التواصل الاجتماعي كيف يحملون رؤوس من ذبحوهم. او كيف دفنوهم احياء. كما ان التقارير عن سبي الاف النساء واغتصابهن ويبعهن في سوق النخاسة او خطف الاطفال وتدريبهم على الذبح واستخدام الاطفال المتخلفين عقلياً كقنابل او عبوات يتم تفجيرها في الاسواق والمدارس كل ذلك الى جانب عمليات التهجير القسري الجماعية للأيزيديين والمسيحيين والشبك في عملية مقصودة لمصادرة حقوقهم المشروعة من ملكية السكن والثروة الى جانب الهوية الثقافية والتاريخ الاجتماعي. فضلا عن اجبار السكان المدنيين على نمط معين للعيش تحت التهديد بالموت او بعقوبات قاسية*

ان سؤالاً مهماً قد يطراً على ذهن الباحث وهو: هل يعبر الداعشيون في سلوكهم عن ايمان حقيقي بما يعتقدون انه المبادئ الاسلامية؟ ام انهم اناس استبعدوا عن تيار الحياة الاجتماعية بسبب الفقر او الجهل فوجدوا في السلوك الارهابي فرصة للتعبير عن عدائهم الانتقامي للمجتمع وللتعويض عن فشلهم ومشاعر الاحباط التي تعتمل في نفوسهم؟ هل تمثل شخصية الارهابي حالة مرضية تعكس احساساً بالعزلة والاندماج في جماعة داعشية مغلقة. صحيح ان الفتاوى المنحرفة، والقراءات الخاطئة للدين تقوم مقام

* لعل ابلغ دليل على انتهاك داعش لحقوق الانسان ذلك البيان الذي اصدره تحت عنوان: المرأة في الدولة الاسلامية وقد تداولت المواقع الالكترونية هذا البيان المنسوب الى (سرية النساء) والصادر بالنسخة العربية فقط ولكن مركز (كويليام ترجمها الى الانكليزية ونشرها على موقعه وترجمتها صحيفة هاآرتس الى العبرية. وينص البيان على انه يمكن للفتاة الزواج في التاسعة في العمر والأمثال ان يكون لها زوج وهي في سن (16-17) سنة و(ان لا تفسد بالخروج الى العمل والبقاء خلف ابواب مغلقة وان تبقى مخفية وراء حجاب وان محال الازياء وصالونات التجميل من عمل الشيطان) ينظر النص في جريدة المدى(العدد 3281- في 7/شباط/2015) وكانت هيئات حقوق الانسان قد اوردت ارقاماً مخيفة عن انتهاكات حصلت ضد الايزيديين في سنجار.. وذكرت مفوضية حقوق الانسان في العراق ان داعش انشأ سوقاً للنخاسة في اكثر من مدينة عراقية وفي مناطق سورية وهناك ما لا يقل عن (3000) امرأة ايزيدية وطفل خطفوا وعمولوا كسبايا وذكرت التقارير ان اسعار النساء تتراوح بين (200-1000) دولار وطرد داعش الاف المسيحيين والشبك من ديارهم وصادر ممتلكاتهم كغنائم حرب كما اصبح داعش احد مافيات الاتجار بالاعضاء البشرية وبالاثار واشارت اليونسيف الى خطف وتجنيد مئات الاطفال وتدريبهم على الذبح الى غير ذلك من الجرائم ضد الإنسانية.

عمليات غسيل الدماغ الى حد يصبح معها الانسان منوماً خاضعاً لموجهات وايحاءات تدفعه نحو القيام بأعمال تتحول من الذات الى الاخر وكأن الارهابي اذ ينتحر فأنما يقتل الشخصية الفاشلة التي يمثلها وتمثله، املا بمكافآت وارضاءات وهمية وهو اذ يمارس هذا العدوان الدموي ضد (الاخر) فكانما ينتقم من ذاته، او يحاول ترميم الخلل في شخصيته بايحاءات خاطئة عن الشجاعة والبطولة.

ان داعش -كجماعة - لا تحتكم الى قانون او نظام. فهي جماعة لا تمتلك من الاسلام الا اسمه، ولا تدعي من الولاء لرسول الله سوى الخرقه السوداء التي تسيء واقعاً الى رسول الله (ص) ولذلك لا يندعش المرء حين يتم اعدام عشرات الداعشيين لمجرد اخطاء بسيطة او اتهامات بالخيانة فليس ثمة مسؤولية ذات معايير واضحة. جماعة داعش تحكمها شريعة الغاب التي تنتقل اساليبها وسلوكياتها لتصبح قاعدة تعاملها مع الناس الذين يعيشون خارج الجماعة المغلقة بوصفهم (كفرة) يمثلون دار الحرب.

يطرح احد الباحثين سؤالاً مهماً هو: لماذا يتزايد انخراط المواطنين وبخاصة الشباب في الجماعات الاسلامية ويقل بالنسبة للجماعات او التنظيمات اليسارية؟ ولماذا تمارس الجماعات الاسلامية العنف؟ ويجيب الباحث نفسه بالقول ان هناك تفسيرات عدة لذلك اولها تعثر الايديولوجيات والافكار اليسارية والقومية والليبرالية في الوطن العربي. وثانيها سهولة خطاب تلك الجماعات اذ انها تقدم اجابات سهلة لمشكلات المجتمع فتختزل سبب المشكلات بالبعد عن شرع الله وثالثها ان هذه الجماعات تعكس دلالات اجتماعية وسياسية مهم فاعلم اعضائها ينتمون الى الطبقات الوسطى والدنيا ومن ثم فهي تطرح مقولة العدل التوزيعي (للثروة) في مواجهة التفاوت الاجتماعي.. ان اغلب اعضاء هذه الجماعات تعاني من الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية المتردية مما يؤدي الى زيادة احباطهم ولذلك يغلب طابع العنف على ردود افعالهم (ابراهيم، 1992، الصفحات 141-142) وتشير دراسات اخرى الى ان اولوية القبول في الجماعات السلفية هو للشباب حديثي السن ويراعى في اختيارهم ايضا ان يكونوا متسمين بالاندفاع والتهور. واطهرت دراسة للدكتور سعد الدين ابراهيم وكذلك دراسة للمركز القومي للبحوث في مصر ان اغلب اولئك الشباب هم من مواليد الريف او المدن الصغيرة وكان اغلبهم يعيش بمفرده في المدينة او مع زملاء لهم وليس مع اسرهم (احمد، 2000، صفحة 218).

ان شعور الفرد بالاستبعاد والحرمان قد يدفع الى سلوكيات مرضية مختلفة كالانتحار والجريمة وممارسة اشكال من العنف التي لا تخفي حقه على المجتمع الذي لم يجد فيه بيئة ترضي طموحاته او سلطة فشلت في تحقيق مستوى مناسب للعيش. ولذلك يمكن القول ان احد اسلحة مواجهة الارهاب المهمة والفعالة هو العمل على تحسين ظروف العيش، وانجاح عملية التنمية وتوزيع ثمارها على نحو عادل.

وفي هذا الصدد اشير الى ان من اهم الاجراءات المتبعة حالياً من قبل وزارة العمل والشؤون الاجتماعية يتمثل في مشروع القروض الصغيرة والمتوسطة التي تمكن الشباب من تحسين احوالهم وتحقيق طموحاتهم. ان هذه القروض تعد نوعاً من اعادة توزيع الدخل القومي على نحو يضمن درجة من العدالة ويحرك سوق العمل ويعزز انتماء الفرد للمجتمع.

٤. مستبعدون لجنوا الى العنف

ماذا يعني ان هناك أكثر من (20) الف مسلح من (90) بلدا* التحقوا بعصابات داعش؟ وان 3400 على الاقل من المحاربين الاجانب التحقوا بتلك العصابات منهم أكثر من (150) مواطناً امريكياً او مقيماً في امريكا. ان وتيرة تدفع المحاربين الى سوريا غير مسبوقه وتتجاوز وتيرة تدفق المحاربين الى افغانستان وباكستان والعراق والصومال (راسموسن، 2015) ويشير تقرير اخر فان الدول الأكثر بروزاً من حيث الزيادة تمثلت في فرنسا التي تضاعف عدد الوافدين منها الى ثلاثة اضعاف (1200) بالمقارنة بحوالي (412) في تشرين الثاني 2014 وجاءت المانيا بالمرتبة الثانية بعدد مقاتلين ارتفع من (240) الى (500) كما ارتفع عدد الوافدين من الدول الاوروبية الاخرى بنسب متفاوتة من كل من بريطانيا والسويد وبلجيكا والدانمارك والنرويج (صحيفة، 2015).

ماذا يعني ان مئات من شباب مدينة اونيل الفرنسية التحقوا بداعش؟. يعتقد راسموسن مدير المركز الوطني الامريكى لمكافحة الارهاب ان احد اسباب نجاح التنظيم ما يسمى بالدولة الاسلامية في اقناع المتطوعين بالانضمام اليه هو استخدامه الذكي للاعلام عبر وسائل التواصل الاجتماعي بعدة لغات مضيفا ان التنظيم-علاوة على نشر صور واشرطة تصور اعدام الرهائن والخصوم يحاول استدراج الشباب المهمش في الغرب عن طريق الترويج للحياة البسيطة في ظل (دولة الخلافة المزعومة) ويؤكد راسموسن على ان مسحلي التنظيم يتمكنون من الوصول الى عقول الشباب من خلال استخدام العلامات التجارية الغربية والعباب الفيديو (راسموسن، 2015).

* انه هذا النوع من جنسيات المجندين هو من علامات اممية ما يسمى بالحركة الجهادية. وهذه العلامات ظهرت اولاً في أفغانستان حيث وفد اليها مقاتلون من كل مكان وبعد عام 1992 ترك هؤلاء افغانستان وتوجهوا الى بلدان عدة مثلت فضاءاً عولمياً جديد مثل السودان والصومال واليمن والشيشان وكينيا والبوسنا كما لجأ بعضهم الى بريطانيا. كما كان للتنظيم علاقة بجهة مورو بالفلبين (ينظر: مجموعة مؤلفين - الفتنة الغائبة - جماعة الجهاد في مصر - القاهرة - مركز المسبار - 2012 -

ان جانباً مما يقوله راسموسن صحيح. الا ان هناك جذورا اعمق فنحن نعلم بان الثقافة الاوروبية تظهر تمركزاً ثقافياً- اثنياً شديداً. اذ بالرغم من دعوات فلاسفة معروفين مثل (جون لوك) لنشر التسامح والتي عدت في حينها مخالفة للأعراف الكنائسية والرسمية في أوروبا فأن فكرة عدم المساواة او عدم تكافؤ العناصر البشرية في المواهب والقدرات سائدة في القرن التاسع عشر (قيس النوري ١٩٩١، صفحة ٦٩ وما بعدها) ان هذا التمركز العنصري يبرر كراهية الغرباء، ومنهم اولئك الذين هاجروا من افريقيا والشرق الاوسط وغيرهم الى اوربا وامريكا ولم تنجح المجتمعات الغربية في عملية ادماجهم في نسيجها الاجتماعي او لم يستطيعوا هم التكيف للبيئة الاوروبية بعد هجرتهم اليها.

ان كتاباً وفلاسفة اوروبيين بدؤوا بادراك حقيقة ان المجتمع الاوروبي لم يستطع التحرر من صورته النمطية تجاه المهاجرين اليه وبالتالي اوجد بينه وبينهم مسافة اجتماعية مزدحمة بالشك والعداء والنظرة الدونية. والدليل على ذلك وجود منظمات تضم الافاً من الاعضاء المتحمسين تطالب بمواقف سلبية ضد المهاجرين وتنشر الكراهية ضدهم. من ذلك مثلاً الجبهة اليمينية في فرنسا ومؤسسات مسيحية تحذر من تناقص عدد المسيحيين لصالح المسلمين فتعزز بذلك مخاوف مرضية من المسلمين وتشجع على الدعاية ضدهم ومنها الصور التي تسيء للنبي (ص) كتلك التي نشرتها صحيفة (شارل ايدو) الفرنسية. وفي المانيا التي تضاعف عدد طالبي اللجوء اليها (6) مرات خلال المدة (2008-2014) هناك جماعة PEGIDA الراضية للهجرة والتي تقوم بحماية ثقافة المانيا المسيحية. وفي اخر تظاهرة نظمها شارك فيها (18) الف الماني اظهروا كراهيتهم للمهاجرين.

يذكر السوسيولوجي الفرنسي ادغارموران: ان اوربا اذا لم تحتكر البربرية فانها عبرت عن اصابتها بكل اشكال البربرية الخاصة بالمجتمعات التاريخية التي تحدثت عنها. القرن العشرون اخترع وحشية الامة القائمة على الاثنية الواحدة. ويضيف موران: هناك في امنا الغربية اقلية مقتنعة بان الحضور الغريب للمهاجرين المجنسين يلطخ الهوية الوطنية فكره الاجانب مستمر. والنزعات الوطنية الشوفينية القائمة على الفكر الطهر والصفاء لم تمت ففي النمسا هناك حركة هايدر وفي المانيا الحركات النازية الجديدة. ويضيف ان معظم الغربيين يعتقدون بان العقلانية هي امتياز يخصهم وامر يستأثرون به. وبذلك نصل الى فكرتين معقدتين هما: اولاً ان اوربا الغربية التي هي اهم سيطرة لا مثيل لها في العالم هي ايضا مقر الافكار التحررية التي ستقوض هذه السيطرة (ادغارموران، 2007، صفحة 11، 17، 32) ولعل هذا القول يذكرنا بما عبر عنه الفيلسوف الفرنسي جان بودريار بعد احداث الحادي عشر من ايلول/ سبتمبر 2001 تحت عنوان (ذهنية الارهاب) والذي عد مقارنة غير مسبوقة للفعل الارهابي نشر في صحيفة لوموند الفرنسية.

يقول بودريار ان هناك عملية حقن عالمي للإرهاب الذي هو كالتل الملائم لكل نظام من انظمة السيطرة. الارهاب كامن في لب الثقافة التي تحاربه. الارهاب لا اخلاقي انه رد على عولمة هي الاخرى لا اخلاقية. فهو رعب ضد رعب (وآخرون، 2003) ان كثيرا من الشباب المهاجرين حتى من الجيلين الثاني والثالث يشعرون انهم غير معترف بهم كمواطنين مما يجعلهم في حالة معقدة من الاغتراب واليأس. يقول شارلز تايلور ان الاعتراف ليس مجرد مجاملة في التعامل مع الغير ولكنه اساسا حاجة انسانية حيوية. وتنقسم الامراض التي يمكن ان تصيب الهوية الى قسمين يرتبط الاول بغياب الاعتراف الذي يؤدي الى شكل من اشكال عدم الوضوح الاجتماعي تجاه من تنكر هويته بينما الثاني يرتبط بإحساس شيء يبعث على الشعور بالذل والمهانة والاحتقار (سافيدان، 2011، صفحة 27) ان عدم الاعتراف بالهوية يصبح اشد تأثير حين يرتبط بغياب الانصاف والمساواة في الفرص والادماج الساسي.

ان مما يعزز الشعور بان المحيط الذي يعيش فيه المهاجرون يتسم بالعداء هو ذلك التيار المتواصل الذي يحاول الاساءة للإسلام بأي صورة ممكنة منها الاساءة الى رسول الله مباشرة والذي افرز ردود فعل ضد الاشخاص الذين يقومون بتلك الافعال. بل ان الاساءة للإسلام انتقلت الى مواقع التواصل الاجتماعي وواجهتها مواقع اخرى منها (موقع الشباب المسلم يغير العالم) ومجموعات (الدفاع عن رسول الله ص) و (موقع الدين الاسلامي في مواجهة الهجوم عليه) ومجموعة (الحفاظ على الصلاة) و(حملة جميع المسلمين لمناصرة خاتم الانبياء) (ليلة، 2014، صفحة 162).

نشرت احدي جمعيات الدفاع عن سجناء غوانتانامو تقريراً اتهمت فيه المخابرات البريطانية بدفع (الذباح) محمد موازي الذي شخص بعد ظهوره عدة مرات واقفا على وشك ان يذبح احد الضحايا وهو كويتي الاصل بانها أي المخابرات ضايقته كثيرا مما اضطره للانتماء لداعش* ومع ان هذا ليس تبريرا كافيا الا انه يؤكد حقيقة ان ضعف الاندماج في المجتمعات الاوربية يعكس في جوهره حالة من عدم الاحترام للحقوق الانسانية رغم ما يكره الاعلام والادبيات الاوربية من تأكيدات عن احترام حقوق الانسان.

ومع ذلك فان الموضوعية تقتضي القول ان الذين يرحلون الى سوريا والعراق قد لا يكونوا من العاطلين والفقراء لكن الغنى بحد ذاته لا ينفي كليا مشاعر الاحباط والتهميش ولا يبدد النظرة الدونية التي يعتقد الفرد المهاجر اصلا ان المجتمع يعامله بها. اظهر الدكتور مارك سيغمان ان غالبية المجندين الذين

* واثارت قضية ثلاث فتيات من اصل بريطاني هربن الى تركيا ومنها الى سوريا (اعمارهن تتراوح بين 15-16 سنة) جدلا بين تركيا

ينتمون الى شبكة القاعدة حائزون على مؤهلات علمية عالية وينحدرون من بيئات راقية وقد اظهرت الدراسة التحليلية التي اجراها سيغمان ان كافة النظريات التي كان الخبراء الغربيون قد وضعوها لطريقة انتقاء القاعدة لعناصرها لم تكن تتسم بالدقة مما ينفي ان غالبية اتباع القاعدة ينتمون الى بيئات فقيرة يتفشى فيها الجهل (فرج، 2010، صفحة 226) ومهما يكن من امر فأن ظروف التجنيد في الوقت الحاضر ربما اختلفت عنها في 2001 أي بعد انهيار برجي التجارة في نيويورك. ولعل اهم مؤشرات الوقت الحاضر تفاقم وانتشار ظاهرة الخوف من الاسلام (الإسلاموفوبيا) مما زاد من الضغوط النفسية والاجتماعية على المهاجرين واغلق بوجوههم فرص العمل والتعليم. الى جانب الضغوط التي مورست على المحجبات وخصوصاً في فرنسا مما عد تدخلاً مهيناً في الشؤون الشخصية للمسلمين وانتهاكا لقيمهم وعقيدتهم. كذلك لا يمكن اغفال ان العداء للإسلام اصبح عداءً علنياً تمثل في الرسوم المسيئة للرسول الاعظم (ص) وفي الاعتداء على المراكز الدينية الاسلامية. ثم جاءت احداث احتلال العراق، والصراعات في سوريا وما يسمى بثورات الربيع العربي لتؤجج المشاعر الدينية. ان الدراسة عن المجندين الاوربيين الذين نشطون في صفوف داعش خلال الاشهر الستة من الفترة الماضية لم تجر حتى الان.

٥. المقترحات:

- 1- لا بد من تحسين الأوضاع الاقتصادية، من خلال إيجاد فرص العمل وتحقيق مستوى مقبول من الضمان الاجتماعي، والخدمات الصحية والتعليمية، فقد ثبت ان الافتقاد لهذه العناصر كان احد أسباب التجنيد في العصابات الإرهابية.
- 2- عقد مؤتمرات وندوات تعنى بإعادة هيكلة الاسرة لاسيما بعد ان شهد المجتمع العراقي ظواهر خطيرة كالمخدرات، والجرائم، والطلاق، والانحرافات السلوكية الأخرى.
- 3- تغيير أساليب التنشئة الاجتماعية في الاسرة العراقية، خصوصاً بعد بروز التأثير الكبير لمواقع التواصل الاجتماعي على الأطفال والشباب .
- 4- القضاء على الامية التعليمية والأمية الثقافية، من خلال نشر التعليم وتطوير المهارات العلمية والعملية، والمكتبات، ومراكز البحوث، لان الجهل، وانعدام الوعي سبب أساس للتجنيد في العصابات الإرهابية.
- 5- تشديد القوانين التي تكافح الإرهاب، وعدم تساهل الدولة مع أي فكر أو سلوك إرهابي.
- 6- على الدولة أن تعد برامج تربوية وثقافية على مستوى وسائل الاعلام ووسائل التواصل الاجتماعي، للوقوف بوجه التثقيف الذي يمارسه الإرهاب مستخدماً نفس الوسائل.
- 7- الشباب طاقة ولا بد من استيعابهم عبر برامج ونوادي ثقافية، وتوجيه طاقاتهم بشكل إيجابي.

- 8- تسخير مواقع التواصل الاجتماعي لاستقطاب وتوجيه الشباب، ومراقبة ما ينشر فيها، وتنبيه الشباب الى خطورة بعض ما ينشر.
- 9- تطبيق مبادئ حقوق الانسان في جميع الدول والمجتمعات، لغرض تشكيل وجهة نظر إنسانية ودولية موحدة ضد جرائم الإرهاب، وتعريف الانسان بحقوقه التي وهبها الله له.
- 10- تحذير المجتمعات الإنسانية، وخصوصا الإسلامية منها، أن الإرهاب وداعش ينتهك حقوق الانسان أكثر من غيره، وان دعواته الى الدولة العادلة ومجتمع الفضيلة قد ثبت بطلانها، وهنالك من الوقائع ما يدحض ادعاءاته .
- 11- دراسة الأسباب التي دفعت الكثير للهجرة الى بلدان الغرب هربا من الظروف والشروط الحياتية في بلداننا، وتقديم المعالجات بهذا الصدد.
- 12- على الدول الغربية، وبالخصوص الاوربية منها تقديم معالجات للأسباب التي جعلت المهاجرين العرب والمسلمين أن يشعروا بالاغتراب والانفصال عن مجتمع المهجر، ومنها التعصب والنزعة العنصرية، والموقف من الإسلام عند البعض.

٦. خاتمة:

الامن الاجتماعي حالة تتميز بحساسية عالية اذ يمكن ان تتأثر بالعديد من المتغيرات الطارئة الطبيعية والاجتماعية مما يعرض حياة الافراد والجماعات واستقرارها للخطر. ان تعرض العراق للهجمة الارهابية المتواصلة منذ أكثر من عشر سنوات، وتفاقمها الهائل بين 2014/6/10 واحتلال مناطق مهمة من العراق من قبل تنظيم داعش قد وضع مستقبل العراق على المحك وخصوصا بعد تدخل قوى دولية واقليمية في دائرة الصراع.

ان داعش يرتكب جرائم كبرى وينتهك حقوق الانسان على نحو خطير يتجاوز كل مبادئ واعراف القانون الدولي الانساني وعهوده واعدانياته واتفاقياته. داعش جماعة اجرامية لا تعترف بحقوق الانسان. بل ترى فيه مجرد (شيء) قابل للقتل والحرق والبيع والسبي والاهانة وقد ازدحمت تقارير الامم المتحدة وهيئات حقوق الانسان بالجرائم التي ارتكبتها داعش وانشئت مراكز بحوث وصدرت عن مجلس الامن قرارات لتجفيف منابع التمويل وتجريم الممولين واعتبار جرائم داعش جرائم ضد الانسانية. غير ان الوجه الاخر للعملة يبدو في قضية المجندين الاوربيين او الغربيين الذين يلتحقون بعصابات داعش ويدخلون الى سوريا من البوابة التركية. ان هؤلاء هم ايضا دليل فشل اوربا في محاولتها ادماجهم في النسيج الاجتماعي لسكانها ومعاملتهم بوصفهم مواطنين كاملي الاهلية. فهؤلاء، رغم ان بعضهم من الجيلين الثاني والثالث يفتقرون الى كثير من الحقوق فهم مهمشون ويعانون من مشكلات البطالة والاهمال والنظرة الدونية التي تشعرهم بالعزلة والاغتراب مقابل اغراءات مواقع التواصل الاجتماعي لهم

(حياة بسيطة وجهاد يؤدي الى الجنة) فضلاً عن كونهم سوف ينفسون عن حقدهم وغضبهم تجاه انظمة يشعرون انها ظلمتهم. ان تحول هؤلاء الى مجرمين يتطلب دراسات معمقة نفسية واجتماعية لأحوالهم في بيئاتهم التي هاجروا اليها كما يتطلب الامر دراسة لأساليب داعش في جذبهم واغرائهم.

المصادر:

- ادغاموران. ثقافة اوربا و بربريتها . (محمد الهاللي، المترجمون) الدار البيضاء - دار توبقال للنشر (٢٠٠٧).
- الان تورين. بردايغما جديدة لفهم عالم اليوم . (جورج سليمان، المترجمون) بيروت: المنظمة العربية للترجمة (٢٠١١).
- الفريق الركن حامد سالم الزبيدي. مقاتلة الارهاب في العراق (الحرب الجديدة). بغداد: دار الجواهري (٢٠١٣).
- اورد هذه البيانات نيكولاس راسموسن. مدير المركز الوطني الامريكى لمكافحة الارهاب في افادته امام لجنة الامن الوطني التابعة لمجلس النواب الامريكى. جريدة المدى 3286 العدد (١٢ شباط، ٢٠١٥).
- باتريك سافيدان. الدولة والتعدد الثقافي. (مصطفى حسوني، المترجمون) الدار البيضاء - دار توبقال (٢٠١١)
- تشارلز.ار. بيتر. فكرة حقوق الانسان. (شوقي جلال، المترجمون) الكويت: سلسلة عالم المعرفة (٢٠١٥).
- تقرير صحيفة. الواشنطن بوست الامريكية التي اوردت الارقام . جريدة(القضية- العدد\525) (١١ شباط، ٢٠١٥).
- جان بودريار وآخرون. ذهنية الارهاب - لماذا يقاتلون بموتهم . (بسام حجار، المترجمون) بيروت: المركز الثقافي العربي (٢٠٠٣).
- حسين توفيق ابراهيم. ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية . بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية (١٩٩٢).
- ريتا فوج. العنف في الاسلام المعاصر معطى بنبوي ام نتاج تاريخي. الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي (٢٠١٠).
- سمير نعيم احمد. المحددات الاقتصادية والاجتماعية للتطرف الديني (دراسة في : د. عبد الباقي الهرماسي و اخرون). بيروت: مركز دراسات الوحدة (٢٠٠٠).
- سيد قطب. معالم في الطريق. القاهرة: مكتبة وهبة (١٩٥٦).
- عبد الاله بلقزيز. الدولة و المجتمع . بيروت: الشبكة العربية للابحاث (٢٠٠٨).
- عبد اللطيف الهرماسي. ظاهرة التكفير في المجتمع الاسلامي من منظور العلوم الاجتماعي للاديان. قطر : مركز الجزيرة للدراسات (٢٠١٠).
- علي محمود ابو ليلة. الاعلام والمجتمع-تشكيل الثقافة وبناء المجتمع الافتراضي. الرياض - قرطبة (٢٠١٤).
- قيس النوري. مدارس الانثروبولوجيا. بغداد: جامعة بغداد (١٩٩١).
- لين هانت. نشأة حقوق الانسان. (فايقه جرجس حنا، المترجمون) القاهرة: كلمات عربية (٢٠١٣).
- محمد سعد ابو عامود. . جماعات الاسلام السياسي. القاهرة: دار المعارف (١٩٩٢).
- مجموعة مؤلفين. الفتنة الغائبة، جماعة الجهاد في مصر. القاهرة: مركز المسبار (٢٠١٢).